عاشقة السراب

فى بهيم الليل حيث السكون التام ، و النجوم الساطعة ، والطيور النائمة ، والنسيم العليل عزمت ليلتها على الرحيل إلى العالم الآخر حتى تسكن آلامي ، و تخمد النيران المشتعلة فى صدرى ، ولكن قوة إيماني بالله (عز و جل) منعتني من .....

لا أدري من أين أبدأ ؟ .

فعندما يكون الجرح عميقا جدا ومؤلما لا نعرف له بداية و لا كيف تكون النهاية ؟ .

لقد دخل حياتي فجأة ، و بدون مقدمات ، سرى حبه في كياني لا أدري كيف ؟ .

كان كالطيف الجميل ، والنسيم العليل ، و الماء السلسبيل ، و في نفس الوقت الخوف المبين والحزن الدفين ، فالمجهول دائما مخيف .

يا من فتحت أمامي أبواب النور ، والدفء ، والحنان ، و الهدوء ، و الأمان ، و الاطمئنان ، فعشت أحلم بالسعادة ترفرف من حولي .

و فجأة أغلقت تلك الأبواب فى وجهي ، فبت مكلومة الفؤاد ، صريعة الوجدان .

ثم تطورت حالتي حتى أصبحت على شفا الجنون ، كنت أسمع صوتك يلاحقني أينما ذهبت ، وأتذكر كلماتك و وعودك تعلو و ترتفع فوق أعلى صوت .

حاولت مرارا ألا أفكر فيك ، أن أهرب من نفسي ، و أوهامي ، و لكن ظروفي كانت تعيدني إليك ، أسيرة "الحب" الذي ملأ كياني و وجداني .

كنت أحاول بشتّى الطرق ، أن أقنع نفسي بأنك إنسان عادي جدا ، وبك الكثير من العيوب والنقائص مثل كل البشر ، وكنت دائما أحدث نفسي .

بأن " الهوى " ما هو إلا مرض لعين أو نقمة حلّت عليّ لشقائي ، و يجب أن أتخلص منه .

ولكن النفس الأمارة بالسوء ، كانت تأبى إلا عصياني ، فأصبحت فى صراع دائم معها ، أحيانا ألومها و تلومني ، أشفق عليها و تحن عليّ ، إلى أن جاء هذا اليوم .

لم يكتف القَدر بهذا القدر من العذاب بل أراد أن يسخر منّي ، فعندما كنت أتارجح بين شكّي و يقيني فى أن أراك ، وأتحدث إليك ، وأهمس فى خشوع بالآيات ، وأدعو الله (عز و جل) .

من صميم قلبي أن أجدك أمامي ، و لو سرابا ، وجدتك حقيقة ، وجها لوجه ، كاد قلبي أن يخرج من بين

ضلوعي ، و لكن لم يكن ذلك بسبب فرحتي لرؤيتك ، بل من شدة آلامي .

عندما وجدتك و أياها فى قمة السرور و السعادة ، تتأبط ذراعها و تسيرا معا ، كأن الدنيا لم تخلق إلا لكما ، و بكما ، لم تشعر بوجودي .

بدأت تنتظم دقات قلبي ، و هدأت نفسي ، و استقر عقلي ، لقد أكتشفتك على حقيقتك ، وقد تجردت من " البريق المزيف " الذي تأجج به خيالي ، و الكمال الذى توهمته فيك ، للأسف وجدت إنسان ترابي الجوهر ، متقلب الرغبات ، مغرور ، منافق ، إنك مجرد سراب .

للأسف لم أجد لحظتها الوقار الذي كان يحيط بك ، ويزيدك مهابة و رجولة ، و لا تلك الرقة والابتسامة الزائفة التى كنت ترسمها على شفتيك .

بل وجدت الحقيقة العارية ، و اصطدمت بأرض الواقع الصلدة المؤلمة ، وغابت الدنيا عن عيني ثم عادت .

عشت بعد ذلك أياما وأنا جسد بلا روح ، أنفاس التى طالما سعدت بأنها ستذهب مع الهواء لتلاقي أنفاسك ،

أصبحت مكتومة بين الكذب و الحقيقة ، تختنق بغبار النفاق .

دقات قلبى التى شدّت باسمك ، أصبحت دقات واهنة من ألم الغدر و الخيانة ، " دمى " الذى أمنت بأنه ليس إلا دمك عندما مزجناه معا لو تذوقته الأن لشعرت بأنه أكثر مرارة ، وأحمراراً من شدة الغضب .. غضبي على نفسي أم عليك ؟ .

لا و ألف لا لست غاضبة منك ، أو ناقمة عليك ، فليس لك أي ذنب ، فشخصيتك السلبية ، و غرورك الشيطاني و مشاعرك المتبلدة ، و أحاسيسك المتقلبة ، جعلوني أغفر لك .

الذنب هو ذنبي أنا ، أنا وحدي ، فقلبي المحب جعلني أعشق " السراب " ، و اتجهت إلى ربي و خالقي (عز و جل) لينقذني من أوهام حبي ، و يبعد عني الشقاء ، و العذاب ، و يمدني بالقوة و الصبر لأعيش حبا صادقا ، و حياة جميلة .

وداعا يا من ضيعت معك أجمل سنوات عمري ، يا من عشقتك مثل الهواء و الماء .

لا ... لن أغفر لك ما ضاع ، و سيكون موعدنا فى دنيا الصفاء و النقاء ، حيث لا ينفع الندم و البكاء ، و ينال كل منا جزاءه .